القيم الدّينيّة والاجتماعية والثّقافيّة للصّورة في كتب الجيل الثّاني – كتاب السنة الثانية ابتدائي لغة عربية– أنموذجا –

د. بومكحلة جيلالي

المركز الجامعي لعين تموشنت

Boumokahla.djillali@yahoo.fr

ت الاستقبال:17-05-2020 ت القبول: 26-06-2020

ت النشر:31-12-2020

الملخص باللغة الإنجليزية:

A picture is one of the most important means that book editors use to make the teaching operation. more successful with or wittrout the teacher or the learner.

Throuth the second year book of arabic in the primary school .we will try search or look for the religion ;social and cultural values that a picture may have on the learner°s psychology.we will also try to follow up ;that can a picture have as a negative effect for a such learner.

Key words: Picture ; second génération ; values ; religion ; culture ; society ;

الملخص:

تعد الصورة من أهم الوسائل التربوية التي يستخدمها المشرفون على الكتب المدرسية في إنجاح العملية التربوية. ولذلك لم يكن بدعا أن يهتم مصمّمو كتب الجيل الثاني بالصورة لما لها من أثر إيجابي في العملية التربوية، سواء أكان ذلك عند المعلّم أو المتعلّم.

سنحاول من خلال كتاب السّنة الثّانية ابتدائي في اللّغة العربيّة تقصّي تلك القيم الدّينية والاجتماعية والثّقافية التّي تتركها الصّورة في نفس المتعلّم.

كما سنحاول أيضا أن نتتبّع بعض ما بوسع الصّورة أن تتركه من أثر سلبيّ لدى هذا المتعلّم.

الكلمات المفتاحية: صورة؛ جيل ثان؛ قيم؛ دين؛ ثقافة؛ مجتمع؛

مقمة:

اهتدت وزارة التربية الوطنية في الجزائر عام 2016 إلى إصلاح مسّ الطّور الأوّل من التعليم الابتدائي، وكذا السنتين الأولى والثانية من التعليم المتوسط. ليتوسع سنة 2017 إلى السنوات الثالثة والرابعة ابتدائي والثالثة والرابعة متوسط.

وقد أطلق إطارات وزارة التربية الوطنية على هذه العملية التربوية بإصلاحات الجيل الثاني. وهنا حقّ لنا أن نتساءل عن مصدر هذه التسمية الغريبة بالنسبة إلينا. فهل المقصود هو الجيل الثاني من الإصلاحات أم الجيل الثاني من المقاربة بالكفاءات؟

أما الاحتمال الثاني فلا ضير فيه، لكن في الاحتمال الأول فثمّة تكمن الغرابة. إذ إنّ إطلاق الوصاية لمصطلح الجيل الثاني باعتبار ذلك، فإنّه يدل على وجود جيل وحيد قبل هذا الجيل الثاني. وممّا لا شك فيه أن الوزارة تقصد بالجيل الأول، ذلك الإصلاح المشؤوم الذي أوكل إلى المسمّى بن زاغو عام 2003 ولجنته الإصلاحية التي كانت الوزيرة الحالية عضوا فيها.

نعتقد، ولا ندري إن كنا محقين، أن وزارة التربية و بهذه التسمية، تكون قد تعدّت على كلّ تلك الإصلاحات السالفة التي عرفتها المدرسة الجزائرية قبل الألفية، والتي قادها خيرة رجالات التربية في الجزائر .تلك الإصلاحات التي استطاعت بكل ما

أوتيت من قوة أن تنجب الكثير من الإطارات الّذين أثبتوا كفاءاتهم داخل الوطن وخارجه، وفي عديد المجالات، ومن الجنسين.

ما يتجاهله بعض المتابعين للشأن التربوي هو أن المنظومة التربوية في الجزائر قد عرفت العديد من المحطات الإصلاحية قبل 2000. منها ما كان جزئيا وبعضها كان جذريا. بدءاً من الإصلاحات التي أمر بها أحمد بن بلة بعد الاستقلال، وانتهاءً عند إصلاحات 1991.

فكان حريّا بالوزارة- على الأقل – ومن باب الاعتراف بفضل الّذين أفنوا حياتهم في خدمة المدرسة الجزائرية، أن تأخذ إصلاحات ما بعد الاستقلال بعين الاعتبار، أو إصلاحات 1976 الخاصة بتأسيس المدرسة الأساسية لأهمية الحدثين في حياة المدرسة الجزائرية. فكان لزاما عليها أن تعدّ أحدهما أو كليهما كجيل أول. وحينئذ تسمي إصلاحها المزعوم "الجيل الثاني" بالجيل الثالث. باعتبار أنها لا تعترف سوى بإصلاحات 2003 التي تُوهِمُ أنّه الجيل الأول.

إنّ الحديث عن إصلاح منظومة تربوية لأي بلد، معناه أننا سنعيد النظر في بناء المناهج. و"المنهج هو جميع الخبرات التي تهيئها المدرسة لتلاميذها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل، وتعديل سلوكهم طبقا لفلسفتها التربوية"[1]. فإذا كان الكتاب المدرسي جزءا من هذا المنهاج، فلا بد أن يُغَيَرَ بتغير المناهج. ولذلك ارتأت وزارة التربية الوطنية إلى طبع الكتاب المدرسيّ الجديد الخاصّ بالجيل الثّانيّ.

إن ما يمكن تسجيله كشيء إيجابي سواءً في إصلاحات الجيل الثّانيّ أو في إصلاحات بن زاغو ،هو شكل الكتاب المدرسيّ ومظهره. حيث كان للتّكنولوجيا الدّور البارز في تلك الحلّة الّتي بدا بها هذا الكتاب الجديد المزيّن بالصّور وألوانها الزّاهية الّتي تثير انتباه المتعلّم كلّما نظر إليها.

الصّورة

لم يهمل المختصون الصّورة لما يعرفونه عنها من أنّها تقوم بدور فعّال في العمليّة التّربويّة. لذلك راحوا غير متردّدين في استدعائها وبذلك الشّكل الجميل والجذّاب للمتعلّم. فلماذا هذا الاهتمام كلّه بالصّورة في كتب الجيل الثّانيّ؟

إنّ ظهور الصّورة في كتب الجيل الثّاني بنوعيها اليدوي و الفوتوغرافي من شأنه أن يسهم بدرجة عالية في إنجاح العمليّة التعلّمية. إذ تعدّ طريقا مختصرا للوصول إلى المفاهيم. "ولعلّ المتمعّن في كتاب التّلميذ يلاحظ ذلك التّوظيف المكثّف للصّور التّعليميّة، وهذا يعكس وعي مؤلّفيه بقيمتها ودورها الفعّال في تحقيق الأهداف"[2] المرجوة من العمليّة التّعلميّة.

إن"الصّورة تجعل الطّفل أكثر استعدادا لتقبّل المادّة المعرفيّة، حيث تساعد على إشباع الرّغبة والزّيادة في تقوية وتحسين خبرات المتعلّم"[3].فلا يمكن أن يتصوّر نجاح أيّ فعل تعلّمي دون الاستعانة بتقنية العمل بالصّور. فلا عجب في أنّ هذه التّقنيّة من شأنها أن تثير الاهتمام لدى المتعلّم في مراحل تعلّمه الأولى أكثر من النّص، شرط أن تستعمل بشكل صحيح.

"إنّ الصورة تعني النّظر والإصغاء إلى مثير بصري يستطيع الطفل من خلاله التّعرّف إلى الحياة الّتي يعيشها داخل

المدرسة والأسرة والشّارع والبلدة. وبذلك يستوعب الأشياء المحيطة به من خلال الصّور الّتي يتعلّمها ويشاهدها"[4]. إذ يستطيع المعلّم أن يترجم بها بعض السّلوكات الّتي قد تعجز عنها اللّغة الطّفوليّة.

كما تسمح الصّورة للطّفل أيضا، أن يستحضر حواسه الثّلاث في العمليّة التّعلميّة الواحدة، فيسمع ويرى ويعبّر، معتمدا في ذلك كلّه على نفسه، في حين يكتفي المعلّم بدور الموجّه. حينها يمكن أن نحكم بنجاح الصّورة سواءً من حيث إيصال الفكرة إلى الفئة المستهدفة إذا كانت الكفاءة وجدانية، أم من حيث جرّ الطّفل إلى الاكتساب اللّغوي وتفعيله، إذا كانت العميلة التّعلمية ذات طابع لساني.

يمكن القول إذن، إنّ"الصّورة كفيلة بتطوير كافّة عناصر العمليّة التّعلّميّة التّعليميّة، وجعلها أكثر فاعليّة وكفاية، فلم تعد الصّورة وسيلة إضافية فضلة، بل غدت مهمّة في العمليّة التربويّة لما تقوم به من أدوار"[5] أساسيّة في نموّ الطّفل في مراحله العمريّة الأولى.

استطاعت الصّورة في كتب الجيل الثّاني أن تسهم في تطوير قدرات المتعلّم اللّغوية وإشباع رغباته النّفسيّة وتلقيح ذاته روحيا واجتماعيا وثقافيا، و"تُوَسِّع تصوّره للزّمن والمكان، وللأشياء، ولجسمه، وتُنَمِّي ذكاءه وأحاسيسه، ومهاراته"[6]المختلفة.

سنحاول تقصّي كلّ ذلك من خلال تسليط الضّوء على كتاب السّنة الثّانية ابتدائي. هذا الكتاب الموّحد بين مواد اللّغة العربيّة والتربيّة الإسلاميّة والتربيّة المدنية الّذي يلفت نظر كلّ

متصفّح له، لما يحتويه من صور مثيرة بإمكانها أن تشدّ انتباه المتعلّم، فتسهّل على المعلّم توظيفَها كسند رئيسٍ في العمليّة التّعلّميّة، لأنّه يكون قد ضمن بذلك، طرفا مهمّا في بناء تلك العمليّة، وهو الحضور الذّهني للمتعلّم، وليس المتعلّم المجرّد البعيد عن التأثير والتأثر.

القيم

سنحاول إذن، أن نبحث بعض القيم الدّينيّة والاجتماعية والثّقافية التي أراد أن يبثّها هذا الكتاب بواسطة توظيفه الصّورة كتقنية للتعلّم. كما سنسعى – جاهدين – أيضا إلى الكشف عن تلك الهفوات التي وقع فيها المؤلفون في تشكيلهم لصور الكتاب. حيث بدا لنا أنّ ذلك كفيل بأن يعمل في الاتجاه المعاكس للكفاءات المنتظرة الّتي جاء من أجلها هذا الكتاب بصفة خاصّة، وضدّ المرامي العامّة للتّعليم في الجزائر بصفة مجملة.

القيم الدينية:

يبدو طبيعيا أنّ القيمة الدّينية بمختلف أشكالها كان لها الحضور البارز في كتاب التربية الإسلامية. إذ تقوم هذه المادة من أجل "التربية على الدّين الإسلامي الحنيف،على أخلاقه ومعاملاته، على عقيدته وكتابه. تربية تسهم بشكل فعّال في تنمية استعدادات المتعلّم الفطرية في المجالات الفكريّة الروحيّة والخلقيّة والاجتماعية، تماشيا وخصائص نموه العقليّ والنّفسيّ في كلّ مستوى، وتنشئته تنشئة قائمة على مبادئ العقيدة الصحيحة، والسّلوك القويم "[7]، لتجعل منه مواطنا صالحا متحكّما في المبادئ الأساسيّة لديننا الإسلامي. لأنّها مادّة

"تضع له أسس بناء شخصيته الوطنية المسلمة . فينشأ مؤمنا، مطيعا متخلّقا، معتزّا بإسلامه، محبّا وخادما لوطنه، مقدِّرا إطار الحياة المشتركة في وسطه، قائما بواجباته، واعيا بمسؤوليته، متفتّحا على غيره، ومواكبا عصره"[8].

يستطيع إذن، بفضل مادّة التّربية الإسلامية أن "يتفاعل المتعلّم في محيطه بكيفية أكثر تحكّما في ممارسة السّلوكات الأوّلية المنسجمة مع المعارف والقيم المكتسبة في أسس العقيدة الإسلامية والعبادات والمعاملات وحفظ النصوص الشرعية واستعمالها"[9]. والصّورة هي أحد العوامل الأساسية الّتي يعتمد عليها المعلّم ليقوم بأداء رسالته المتمثّلة في قيادة المتعلّم ليتشبّع بتلك القيم الإسلامية.

سنسعى في هذا العنصر، أن نبرز دور الصّورة في زرع القيم الدّينيّة لدى النّاشئة، والممثّلة هنا في تلميذ السّنة الثّانية من التّعليم الابتدائي. سنتطرّق إلى ذلك في ضوء نموذج واحد، لكنّه كفيل بأن يوضّح لنا ذلك الدّور الّذي تؤدّيه الصّورة في كتاب الجيل الثّاني بغية زرع القيم الدّينية.اخترنا لأجل ذلك أهمّ ركن في الإسلام وأوّله، وهو الصّلاة.

جاءت هذه الشّعيرة الإسلامية في منهاج السّنة الثّانية ابتدائيّ للجيل الثّاني تحت غطاءٍ كفاءةٍ مستهدفةٍ مفادها "قدرة المتعلّم على أداء الصّلاة وتعداد ركعاتها دون الدّخول في تفاصيل الفرائض والسّنن والمستحبّات، مع التّعرّف على آداب المسجد"[10]. وأثناء تتبّعنا لدرس هذا الرّكن المهم من أركان الإسلام من حيث توظيفُ الصّورة، ألفينا أنّ ذلك كان حاضرا في كثير من الصّور:

- الطفل أحمد وهو يجلس يؤدّي تحية التشهد[11].
- صورة الطّفل أحمد وهو يجلس إلى جانب أمّه وهي في التّشهّد.[12]
- دائما مع الطّفل أحمد، ولكن في هذه المرّة يصلّي ركعة كاملة بتكبيرة إحرامها وركوعها وسجودها وتشهّدها وتسليمها. كلّ ذلك في تِسْعِ صورٍ صغيرة تبيّن الوضعيات المختلفة للصلاة[13]
- أربع صور أخرى، الأولى كبيرة نسبيا، وتُظهِر الطّفل أحمد لحظة دخوله إلى المسجد. والثّانية، تبيّن أحمد في باب المسجد يهمّ بالدخول. الثّالثة، يَظهرُ فيها أحمد وهو يؤدّي تحية المسجد. أمّا الأخيرة، فقد تولّت تصوير إمام المسجد وهو على المنبر يخطب للجمعة[14].

يبدو جليا لأيّ كان، أنّ الصّور السّابقة قد استطاعت أوّلا، أن تحمل كثيرا من المعاني دون اللّجوء إلى الكلام الكثير. أضف إلى ذلك، أنّ وصول الفكرة عن طريق الصّورة أسرع إلى ذهن المتعلّم من وصولها بالكلمة، خاصّة إذا كانت هناك فروقات فرديّة متباينة بين مستويات المتعلّمين. إذ قد يعجز المتعلّم المتخلّف عن قراءة النّصّ أو فهمه، ولكن تخلّفه ذلك قد لا يمنعه أن يفهم ما يمكن أن تبثّه الصّورة من معانٍ مكثّفة.

نقول ذلك لأنّه علّمتنا التّجربة أنّه "من حيث الصّورة ودلالتها فهي أكثر تعبيرا وتوضيحا من الكلمات اللّغويّة وأكثر تأثيرا في تنشئة الطّفل وتدريبه على المعرفة"[15]. ولذلك رأينا أنّ هذه الصّور قد أوصلت المعاني المراد توصيلها إلى المتعلّم بأقصر الطرق واكتفاء المعلّم بدور الموجّه فقط. في حين لو أنّه

اعتمد المؤلّفون على الكلمات وحدها لأداء ذلك الدّور لرأينا المعلّم قد تحوّل إلى مجرد ملقِّنٍ، وهذا ما سيتعارض مع طريقة التّدريس بالكفاءات الّتي اعتمدتها الوزارة منذ 2003 ولا تزال.

وبعيدا عن الكلمة، فالطّفل وهو في هذه السّنّ المتقدّمة – سبع سنوات أو يزيد – قد يتأثر بالغ التّأثّر بما تحمله تلك الصّور من دلالات إيجابيّة، تجعله يشعر بقيمة الصّلاة فيقدّسها من خلال تكرار المشاهد المتعلّقة بها. ثمّ تُعَرِّفُهُ أنّ هذا الرّكن خاصّ بالرجال والإناث. كما تتيح له صورُ كيفيةِ أداء الصّلاة فرصة التّدرب عليها، حيث يصل المتعلّم إلى إتقان كيفيتها وبعض أحكامها باستعمال تلك الصّور التي تبيّن طفلا يؤدي الصلاة.

في حين إنّ صُوَرَ أحمدَ وهو في المسجد قد تعمل على تحبيب أدائها في المساجد، فيشبّ هذا الطّفل وقلبه متعلق بهذه البقعة المقدسة.

كما تسهم تلك الصّور المستهدفة، ولكن بإشراك اللّغة، بتعليم الطّفل بعض ما تعلّق بالصلاة كعدد الرّكعات والتّشهد وآداب المسجد. فنكون بهذا قد وضَّحنا دورَ الصّورة في زرع القيم الدّينية في نفوس الناشئة من خلال أهمّ ركن في الإسلام وعموده.

القيم الاجتماعية:

تهدف مناهج الجيل الّثاني في نهاية التّعليم الابتدائي فيما يخصّ زرع القيم الاجتماعية في نفوس المتعلّمين إلى أن تجعل "المتعلّم قادرا على التّصرّف في محيطه الاجتماعي، بشكل مسؤول تجاه الآخرين"[16]. ذلك ما اكتشفناه في منهاج

التّربيــة المدنيّــة للسّــنة الثّانيــة ابتــدائي حيــث يســعى إلــى الوصــول بالتّلميــذ إلــى "القــدرة علــى التّمييــز بــين الأســرة والأقــارب والجيــران والحــرص علــى حُسْــنِ معــاملتهم"[17]؛ و"القــدرة علــى ممارســة الســلوك الاجتمــاعي بتوظيــف المعــارف المكتســبة فــي التّعــاون والتّطــوع والتّســامح"[18]، وكــذا "القــدرة علــى إبــداء الــرأي وحســن المحاورة"[19] مع الآخر.

لأجــل ذلــك كلّــه، تهــتمّ الــدّول التــي تحتــرم نفســها بــالتّعليم وتجعلــه ضــمن أولوياتهــا ويخصِّــص لــه المســئولون أكبــر الميزانيــات. إذ إنّ "جهــودهم تركّــز بالدّرجــة الأولــى علــى الــتّعلم، علــى اعتبــار أنّــه الوســيلة الرّئيســية لاكتســاب الفــرد كثيــر مــن المعــارف والمهــارات وتكــوين العــادات السّــلوكية والاتّجاهــات والقــيم الّتي تُعتبر الهدف من عملية التّعلم"[20].

اهــتم مؤلّفــو الكتــاب الموحّــد للّغــة العربيّــة والتّربيــة الإســلامية والتّربيــة المدنيــة للسّــنة الثانيــة ابتــدائي، اهتمامًــا بالغًــا بــالقيم الاجتماعيــة. فحــاولوا غرســها فــي نفــوس المتعلّمــين لينتجــوا للمجتمــع فــردًا صــالحا قــادرًا على"تحمّــل المســؤولية فــي أعمالــه واختياراتــه علــى ضــوء المعــارف والسّــلوك المنســجم مــع قــيم المجتمــع"[21]. فوجــدوا فــي الصّــورة وســيلةً ناجعــةً لنقــل تلــك القــيم إلــى ذهــن المــتعلّم فتَعْلَــقُ بــه، ويــنعكس ذلــك إيجابــا علــى الأســرةِ بصفةٍ خاصة، وعلى المجتمع ككلّ.

مــن أهــمّ الصّــور التــي وظّفهــا القــائمون علــى كتــاب السّــنة الثّانية الموحّد في المواد الأدبية:

1.صــورةُ [22] الطّفــل وهــو يقــود شــيخا ليَعْبُــرَ بــه الطّريــق. وإلــى جانبهــا صــورة أخــرى لطفلــة تُمْسِــكُ رأسَ عجــوزٍ يَظْهَــرُ أنّهــا

تـوّد تقبيلَهـا. ولا يـدلّ هـذا إلاّ علـى الاحتـرام الشّـديد مـن الصّـغير إلـى الكبيـر. فالطّفـل قـد يتـأثّر بمجـرّد رأيتـه للصّـورتين فيتمنّـى محاكـاةَ ذلـك. خاصّـة عنـدما يكتشـف بنفسـه تلـك الرسـالةَ الّتـي بَعَثَتْهَـا الصّـورتان. وهـي وجـوبُ احتـرامِ المُسِـنّينَ وإطـاعتهم والسَعي لأجل إرضائهم.

2.صـورةُ الطفلـة[23] سَـلْمَى وهـي تسـاعد أمَّهـا فـي أشـغال المنـزل وبالضّـبط فـي غسـل الأوانـي. هـذه الرّسـالة الّتـي صـنعتها الصّـورة بالاشـتراك مـع الـنّص المرفـق، موجهـةٌ بالخصـوص إلـى التّلميـذات حتـى تنمـوَ لَـدَيْهِنَّ فضـيلةُ مسـاعدةِ الأمّ فـي أشـغالِ المنزلِ.

و" تعـدّ الطّفولـة المبكّـرة مرحلـة نمـوّ حاسـمة، يـتمّ خلالهـا تحديـد الفكـر الـذّاتي والإطـار الـلاّزم للقـدرات الفكريّـة والاجتماعيّـة عنـد الطّفـل"[24]. وبـذلك تشـبّ البنـت وقلبُهـا غيـرُ معلّـقٍ كلِّـه بالدراسـة فقـط، بـل تحـاول التّوفيـق بـين العلـم والعمـل داخـلَ المنـزل. خاصّـة إذا علمنـا أنّ هـذه الفتـاةَ إذا اختـارت مسـارَ الدّراسـة، فإنّهـا سـترافقها خـلال سِـنِينَ طويلـةٍ مـن عمرهـا. فـأنّى لهـا أن تبقـى كـلّ تلـك المـدة بعيدة عن المطبخ.

فـإذا اسـتطاعتِ الصّـورة أن تـؤديَ الـدّورَ المَنُـوطَ منهـا وتُـؤَثّر فـي المـتعلّم مـن جـنس الإنـاث، فإننـا نكـون قـد نجحنـا فـي تكـوين فتـاة تسـتطيع بامتيـاز أن تجمـع بـين فضـل إعانـة أمّهـا، وبـين تَدَرُّبِـها على عملِ البيت لكي تصبحَ أُمَّ الغد.

3.صـورةٌ [25] تُظهـر مجموعـة مـن الأطفـال المصـطفّين عنـد المكتبـي. فـي حـين يَظهـرُ طفـلٌ خـارج الصّـف يريـد شـراء شـيء مـا. ولكـن بـالعودة للـنّص المرفـق نكتشـف أنّ ذلـك الطفـلَ هـو "أمـين"

الّذي جاء متأخّرا بعد أولئك المصطفّين، ولكنه أراد أن يشتري قلما قبلهم. بوسع هذا المشهد إذا اسْتُغِلّ جيّدا من قِبَلِ المعلّم- وحتى دون اللّجوء إلى النّص- أن يوجّه المتعلّمَ إلى ضرورةِ احترام دوْرِ الآخرين وعدم تجاوزهم. ذلك بفضل ما "تحقّق الصّورة التّعليمية والرّسوم المختلفة في كيان التّلميذ تعليما جيّدا، من خلال جلب انتباه التّلميذ لِمَا يعرضه المعلّم من مادة"[26].

وأوّل ما يمكن أن يشدّ انتباهَ المتعلّم في هذه الصورةِ هو ذلك الصّف الذي يصنعه الأطفال عند المكتبي، والّذي يشبه تماما صفوف التّلاميذ أمام أقسامهم. فيَفْهَمُ حينئذ المتعلّمُ أنّ تلك العمليةَ التّنظيمية الّتي يقوم بها أمام باب مدرسته وأمام قسمه وقاعة مطعمه وأثناء أدائه لحصة التّربية البدنية مطالبٌ بها أيضا خارج أسوار المدرسة، عند البقّال وعند الطّبيب وأمام باب الحافلة وفي جميع المرافق العمومية.

القيم الثّقافية:

على الرّغم من السّنّ المبكرّة للمتعلّم فإنّ حضورَ القيمة الثّقافية في الكتاب الموحّد للّغة العربيّة والتربيّة الإسلاميّة والتربيّة المدنيّة للسّنة الثانيّة ابتدائي كان قويّا. وبدورها كانت الصّورة حاضرة لأجل أن تسهم في تعزيز وجود القيم الثقافية لدى المتعلم" وبهذا تكون الصورة أداة ثقافية وفنية وذوقية وتخييلية لها قدرة هامة في تطوير قدرات الإنسان ومن ثمَّة قدرات المجتمع"[27]

تحاول الصّورة في الكتاب الموحّد للسّنة الثّانية ابتدائي في اللّغة العربيّة والتّربية الإسلامية والتّربية المدنية أن تجعل المتعلّم متعلّقا بموروثه الثّقافي حتّى لا تكون هناك قطيعة بين

الحاضر والماضي. لأنّ القائمين على تأليف هذا الكتاب يعلمون أنّه لا يمكن أن تَبْنِي أيُّ أمَّةٍ حاضِرَها دون رجوعها إلى ماضيها. ولذلك أَلْفَيْنَا في هذا الكتاب صورًا تربط المتعلّم بماضيه الثّقافي الّتي بإمكانها أن تجعل قلبَه معلّقا بما خَلَّفَهُ الأجدادُ من تركة ثقافية غالية.

يمكن أن نصنّف ما جاء من صورٍ فوتوغرافيةٍ ويدوية تراثية تربط المتعلم بِقِيَمِهِ الثقافية كما يلي:

- **الأدوات التقليدية:** دلّت إذن بعض الصّور على بعض الأدوات التقليدية[28] الّتي ربما لا تزال تحتفظ بها بعض العائلات وتستعملها. كما بَيَّنَ مشهدٌ آخرُ[29] زيارةَ أَبٍ مع طِفْلَيْهِ لمتحف، ووقوفهم أمام بعض الأواني الفخارية القديمة.
- **الملابس والحليّ التقليديين:** حيث تُبْدِي إحدى الصّور[30] رجلا تارقيا يرتدي لباسا تقليديا محليا، وإلى جانب هذه الصّورة بعض الحلي[31] التّقليدي. كما ظهرت في صفحة أخرى[32] ثلاث صور، الأولى لامرأة ترتدي لباسا تقليديا تلمسانيا، والثّانية تصوّر لباسا نسويا قسنطينيا، وبقيت صورة للباس تقليدي رجالي يتمثّل في برنوس من الصّوف.
- **الأماكن التّراثية:** حيث تَظْهَرُ صورتان[33] لمعْلَمَيْنِ أثَرِيَيْنِ، الأوّل دينيّ إسلامي يتعلق الأمر بمسجد من مساجدنا القديمة، والثاني مَعْلَمٌ أثري تاريخي قديم.
- **الحرف التقليدية:** جُمِعَتْ في ثلاثةِ مواقعَ، الأوّل[34] يُظْهِرُ ثلاثَ صورٍ فوتوغرافية لِحِرَفٍ تقليدية مختلفة،

وهي النّقش على الخشب والنّقش على النّحاس ونَسْجُ الزّرابي. والثاني[35] يُظْهِر المراحل الّتي تمرُّ بها الزّربيّة قَبْلَ أن تصل إلى شكلها الأخير، بدءًا من حصول ذلك الرّجل على المادة الأولية ثم غَزْل تلك المرأة إلى نَسْجِ الأخرى. والثّالث[36] يُبيّنُ المراحل الّتي تمرّ بها الجرّة قبل أن تصبح كذلك.

- **الأعياد التقليدية:** كان ذلك من خلال صورة [37] تمثّل العيد السّنوي للزّربية الّذي تحتضنه غرداية.

أحصينا كلّ ذلك لنبيّن أنّ كتابي للّغة العربية وبمساهمة صوره المعبرة، لم يهتم بالتراث الثقافي فحسب، بل حرص على تنويعه أيضا كما رأينا. إذ "تعدّ الصّورة إحدى وسائل نقل الأفكار من المتكلّم إلى المخاطب، وقد احتلّت اليوم مكانا واسعا وعظيما من خلال أدائها الفعال والكفء "[38]. لذلك حاول هنا القائمون على هذا الكتاب، الاعتماد على تِقْنِيَتِهَا، لمحاولة التّأثير في المتعلّم وجعله يتعلّق بماضيه التّراثي، من حيث الملبسُ والمواقعُ والحِرَفُ والمناسباتُ، فيسعى دائما إلى المحافظة على موروثه ويعتزّ به ويدافعُ عنه.

دورٌ سلبي للصورة

بعد هذا الاستعراض المتواضع، والّذي خصّصناه للجوانب الإيجابية الّتي رافقت صورَ "كتابي للّغة العربيّة والتّربية الإسلامية والتّربية المدنية للسّنة الثّانية ابتدائي"فيما يخصّ – طبعا– القيم الدّينية والاجتماعيّة والثّقافيّة. بقي لي أن أشير في الأخير إلى بعض تلك المآخذ الّتي سجلّها قلمي

عن الدَّور السّلبي للصّورة في بعض صفحات هذا الكتاب. ذلك عندما يُساء استخدامُ هذه التّقنية التّربوية، فتتحول إلى مِعْوَلٍ هدّامٍ للقيمِ. وقد حاولتُ تصنيفَ تلك الأخطاءِ بحسب القيم التي وُضِعَتْ لأجلها الصّور.

في القيم الدّينيّة:

- صورُ طفلٍ[39] يتوضأُ وهو يُسْرِفُ الماء بالتدفّق القوي للصّنبور، والإسلام ينبذ إسراف الماء في الوضوء. روي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم أنه "مَرَّ بسعد، وهو يتوضّأ. فقال((ما هذا السّرف؟)) فقال : أفي الوضوء إسراف؟ قال((نعم. وإن كنت على نهر جارٍ))"[40].
- يبدو الطّفل – في مشاهد وضعيات الصّلاة[41]– رافعا من الرّكوع وهو يرفع يديه. وهذا منافٍ للمذهب المالكي، فمن واجبنا أن نُبْعِدَ المتعلّمَ عن أيّ شكل من أشكال التّشويش عليه بواسطة تداخل المذاهب الفقهية.
- ثلاثُ صورٍ[42] مختلفة كلّها تحمل خطأً فنّيًا فادحًا تَمَثَّلَ في جَعْلِ بابِ المسجدِ جهةَ القبلة، وهذا غير ممكن.

في القيم الاجتماعية:

يبدو أنّ الزّلاّتِ التي وقع فيها المؤلّفون وقد تؤثّر في القيم الاجتماعية سلبا كانت كثيرة بالموازنة مع نظيرتها في القيم الدينية. سنحاول اختصارها فيما يلي:

- تَظْهَرُ في أوّل صفحة للكتاب صورةٌ لطفل وطفلة يَبْدُوَانِ وكأنّهما في لحظات رومانسية. بدليل وضعِ الطفلةِ ليديْها على

صدرها، واحمرار وجنتي كلّ منهما، وخاصّة وجنتي الطفلةِ الّذي يبدو عليهما احمرار شديد، وكأنّ الطفلَ يقولُ شيئا مُحْرِجًا للطفلة. ثمّ إنّنا بعد ذلك كلّه نَتَحَفَّظُ على وضعيةِ اليدِ اليسرى للطّفلِ، والتي تبدو خَلْفَ الطفلة. يبدو لي من خلال هذا التّحليل أنّ هذه الصّورةَ تتنافى مع قيمنا الاجتماعية.

- ظهور التّلاميذ في أكثرَ من صورة[43] بمآزرَ غيرَ نظامية. فنحن نعلم بأنَ الذّكور ملزمون بارتداء مآزرَ باللّون الأزرق، ولكن يَظهر تلميذٌ يرتدي اللّونَ البنيّ في أكثرَ من صورة. كما وجدنا تلميذةً ترتدي اللّونَ البنفسجي وأخرى البنيّ. والواجب على الإناث كما نعلم هو اللون الوردي. ناهيك عن الاختلاف على مستوى اللون الواحد. فكيف نأمر المتعلّم بشيء ونلزمه به، ونحن نخالف ذلك الأمرَ في وثيقة رسمية. والكلّ يعلم "أنّ الفرد يدرك الأشياء الّتي يراها إدراكا أفضلَ وأوضحَ مِمّا لو قرأ عنها أو سمع شخصا يتحدّث عنها" [44]، فَلِمَ نضع أشياءَ قد نُزْهِقُ بها المربّونَ على اختلاف مستوياتهم؟
- إظهارُ مديرِ مدرسة في أحد المشاهد[45] بشكل غيرِ لائقٍ بمنصبه الّذي يشغله في نظري. فهل كان من الضّروري أن نختار لهذه الشّخصية المحترمة تلك الهيأة الّتي قد تحمل الكثير من السّخرية. فلِمَ كان أصلعَ ولم يكن ذا شعر جميل؟ لِمَ كان قصيرا ولَمْ يكن معتدلَ الطّول؟ لِمَ صُوِّرَ للمتعلّمين سمينا ولَمْ يُصَوَرْ لهم على غير ذلك؟ نجمل فنقول، لِمَ لَمْ نختَرْ له شكلا أنيقًا مناسبا للمسؤولية الملقاة على عاتقه؟ لِمَ حصرناه في هذا المظهر الّذي قد يجعله محلَّ سخرية من قِبَلِ المتعلّمين . ونحن نعلم أنّ هذا الرجلّ هو المسؤول الأوّل عن تلك المدرسة.

- من أخطر الصور[46] في نظري على الإطلاق في هذا الكتاب، هي تلك الطّفلةُ الّتي تجلس وحدها أمام الحاسوب المحمول. مع ظهور رسالةٍ على الشاشةِ في إشارةٍ إلى أنّ تلك الفتاةَ تستعمل الشّبكة العنكبوتيّة قصد فتحِ صفحةٍ للتّعارفِ وذلك ما أكدّه النّصُ المرفق.

يمكننا أن نسجّل عدّة مآخذَ على هذه الصّورة الّتي في الأصل يجب أن تكون تربوية لا أن تسهم في هَدْمِ الأخلاق. ومنها :

أولا: كان من الواجب أن يكون في الصّورة مُرَافقٌ للطّفلة، حتى نغرس في نفوس المتعلّمين حبّ إشراك الأولياء كلّما أرادوا الولوج إلى عالم المعلوماتية. فكيف يرتكب المؤلّفون هذه الهفوة؟ والتّربويون والمختصّون ينادون دائما بوجوب أن يراقب الأولياء أبناءهم كلّما أرادوا استعمال هذا النّوع من التّكنولوجيا. فكيف يمكن للوليّ أن يطلب من ابنه أن لا يفتح الحاسوب إلاّ في حضرة أحد الأولياء ثم نضع له هذه الصورة التي ربما قد تدفعه إلى التمرّد؟

فالصّورة لها جانب مهمّ في" تحديد دور عمليّة التّعلم في تعديل بعض الخصائص النّفسية والسّلوكية السّائدة في الشّخصية"[47]. ولذلك كان من الواجب تفادي هذا الخلل الّذي قد يبدو هيّنا وهو في التّربية كبير.

ثم ثانيا: لِمَ اختيارُ هوايةٍ تتطلب التّكنولوجيا؟ وإذا كان لابدّ، فلِمَ هواية التّعارف بالذّات والهوايات كثيرة ومتنوّعة، باستطاعتنا أن نختار أفضلها وأنسبها للمتعلّم في هذه المرحلة العمرية؟ ففي الوقت الّذي يسعى فيه الأولياء إلى إيجاد طريقة

يحمون بها أطفالهم من هذا الوباء، تُطِلُّ علينا مثل هذه الهفواتُ التّربوية الّتي من شأنها أن تزيد الطّين بِلّة.

الخاتمة:

لا يكاد يختلف اِثنان على الدّور البارز الّذي تقوم به الصّورة في كتب الجيل الثّاني من التّعليم الابتدائي وخاصّة في الطّور الأول. لأنّ المتعلّم في هذه السّنِ في حاجة إلى التّعليم بالصّورة أكثر من حاجته إلى التّعليم بالكلمة. فكثير من المتعلّمين في هذا الطّور لا يزالون في بداية احتكاكهم بالحَرْفِ. وحتى إن أجادوا القراءةَ أو قُرِئَ لهم، فإنّ نسبة استيعابهم للمعاني تبقى ضئيلة جدّا بالموازنةِ مع المعاني الّتي يُدْرِكُهَا المتعلّم بواسطة الصّورة.

في الوقت نفسِه وجب التّحذيرُ منَ التّأثير السّلبي الّذي قد تؤدّيه الصّورة إذا ما وُظِّفَتْ توظيفا خاطئا. فكما أنّ هذه الصّورةَ قد تؤثّر إيجابيا في تنشئة المتعلّم على القيم الدّينية والاجتماعية والثّقافية الصّحيحة، فكذلك يُمْكِنُهَا أن تسهم في تربيته على نهجٍ مخالفٍ لتلك القيم المستهدفة.

---

[1] بناء المناهج وتخطيطها، دار الفكر ناشرون وموزعون، محمد صابر سليم وآخرون، الأردن، 2006، ص14.

[2] فاعلية الصور الملونة في تنمية المهارة اللغوية لدى الطفل، كتاب التلميذ السنة الأولى من التعليم الابتدائي – نموذجا– ، عبد اللّطيف حني، مجلّة الدّراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، ع 13و14 ديسمبر، 2015، ص 203.

[3] أهمّية الصّورة في العمليّة التّعلمية التّعليمية، عبد المجيد العابد، الحوار المتمدن،ع 2826، 11 نوفمبر 2009، www.ahewar.org.

[4] دور الصّورة التّعليمية في تنمية المعرفة والإدراك لدى الطفل، نجاة مزهود، مجلة فكر الثقافية، 24 أوت 2015، www.fikrmag.com.

[5] أهمّية الصّورة في العملية التّعلمية التّعليمية، عبد المجيد العابد.

[6] الوثيقة المرافقة لمنهاج اللغة العربية، مرحلة التعليم الابتدائي، اللجنة الوطنية للمناهج، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2016، ص4.

[7] مناهج مرحلة التّعليم الابتدائي، اللّجنة الوطنية للمناهج، وزارة التّربية الوطنية، 2016، ص79.

[8] الوثيقة المرافقة لمنهج التّربية الإسلامية، مرحلة التّعليم الابتدائي، اللّجنة الوطنية للمناهج، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2016، ص2.

[9] دليل كتاب السنة الثانية من التعليم الابتدائي، اللغة العربية والتربية الإسلامية والتربية المدنية، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2016، ص11.

[10] انظر: الوثيقة المرافقة لمنهج التربية الإسلامية، ص13.

[11] كتابي في اللغة العربية التربية الإسلامية التربية المدنية، السنة الثانية من التعليم الابتدائي، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، ط2، 2017، ص118 و124.

[12] المرجع نفسه، ص124.

[13] المرجع نفسه، ص131.

[14] المرجع نفسه، ص152.

[15] دور الصّورة التّعليمية في تنمية المعرفة والإدراك لدى الطّفل، نجاة مزهود.

[16] مختصر مناهج الطّور الأوّل من مرحلة التّعليم الابتدائي ، وزارة التّربية الوطنية، الجزائر، 2016، ص5.

[17] منهاج التّربية المدنية، السّنة الثّانية ابتدائي، وزارة التّربية الوطنية، الجزائر، 2016، ص 74.

[18] المرجع نفسه ، ص 76.

[19] المرجع نفسه ، ص75.

[20] التّعلم نظريات وتطبيقات، أنور محمد الشرقاوي، مكتبة الأنجلو المصرية، 2012 ص348.

[21] كتابي في اللّغة العربية، ص38.

[23] المرجع نفسه، ص38.

[24] التّخطيط الأستراتيجي في التّعليم، شارلي دي ماكين ، تر: فهد بن براهيم الحبيب، مكتبة العبيكان، الرياض، 2008، ص70.

[25] كتابي في اللّغة العربية، ص146.

[26] فاعلية الصّور الملونة في تنمية المهارة اللّغوية لدى الطفل، عبد اللطيف حني، ص207.

[27] الصّورة ودورها في تطوير منظومة القيم، الحبيب الناصرين، www.maghress.com (2012/06/18)،

[28] كتابي في اللغة العربية، ص156.

[29] المرجع نفسه، ص158.

[30] المرجع نفسه، ص162.

[31] المرجع نفسه، ص162.

[32] المرجع نفسه، ص168.

[33] المرجع نفسه، ص162.

[34] المرجع نفسه، ص163.

[35] المرجع نفسه، ص162.

[36] المرجع نفسه، ص157

[37] المرجع نفسه، ص 170.

[38] فاعلية الصّور الملونة في تنمية المهارة اللّغوية لدى الطّفل، عبد اللطيف حني،ص200.

[39] كتابي في اللغّة العربية، ص110.

[40] سنن ابن ماجة، القزويني، دار الكتاب المصري، القاهرة، (د.ت)، ص147.

[41] كتابي في اللّغة العربية، ص11.

[42] المرجع نفسه، ص145 و152.

[43] كتابي في اللغة العربية، ص11 و17 و21 و22 و23.

[44] عبد المجيد العابد، أهمية الصّورة في العمليّة التّعليمية التّعلمية.

[45] كتابي في اللّغة العربية، ص48.

[46] المرجع نفسه، ص80.

[47] التّعلم نظريات وتطبيقات، أنور محمد الشرقاوي، ص349.